الفصل الخامس

المنهج النقدي النفسي
بين التنظير والتطبيق

تظل العلاقة بين فنون الأدب عامة، وأصداء النفس البشرية، والتجارب الحياتية ركيزة من ركائز البنية النصية، والفنية والموضوعية لقوام النص الأدبي السليم، ولرؤية صاحبه، ولطبيعة إبداعه، ولسلامة موقفه من وجهتي اللغة وموضوع الفن ذاته، وقد رأى النقد الأدبي المعاصر أن أحد أهم واجباته هي دراسة (نظام شعور المبدع)، و (طرازه النفسي)، والبواعث التي ترج داخله أكثر، و دوافعه الواعية واللاشعورية، و اختياراته العقلية، وطريقته في الإدراك والتعبير، وإن كنا هنا ننبه – بداية – بأنه من الواجب على درجة من درجات اليقين أن نفرق بعناية بين أن يستخدم علماء النفس الأدب لاكتشاف الأبنية الداخلية بعامة، والمنهج النقدي الذي يهتم بالأدب أولا، ويستخدم علم النفس لتقويمه على نحو أفضل [1].

والصلة بين الأدب والنفس صلة أزلية، حتى بات من المسلمات القول بأن الأدب ظاهرة نفسية، وقد أدرك أرسطو هذه الحقيقة من زمن بعيد، وهو بصدد الحديث عن نظرية المحاكاة التي اتخذها إطارًا شاملاً للفنون بعامة، ومن بينها بعض فنون القول كالشعر مثلاً، الذي يعد ظاهرة نفسية تنشأ عند الإنسان منذ طفولته، نظرًا لوجود نزعتين في الطبيعة الإنسانية، وهما : النزعة إلى المحاكاة، والنزعة إلى الانسجام والإيقاع [2]، مصداقا

---

1 – مناهج النقد الأدبي – إنريك أندرسون إمبرت – ترجمة د . الطاهر مكي – دار الهاني للطباعة والنشر – القاهرة 2000 م – ص 133 .

2 – مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية – د . عثمان موافي – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية 2003 م ص 41 .

لهذا قوله : (ويبدو أن الشعر نشأ عن سببين كلاهما طبيعي، فالمحاكاة غريزة في الإنسان تظهر فيه منذ الطفولة كما أن الناس يجدون لذة في المحاكاة) [1]

ويرى علم النفس أن الأدب أحد مظاهر الحدث النفسي الكثيرة، ولهذا يقترح أن نمعن النظر في تكوين العمل الفني من جانب، وفي العوامل التي تجعل المرء مبدعًا فنيًا من جانب آخر، ولذا يقول عالم النفس الشهير **جونج** : (هناك اختلاف جوهري في التصور بين دراسة الأدب حين يقوم بها علماء نفس والنقاد، فما يراه النقاد مهمًا، وذا قيمة حاسمة، يمكن أن يكون غير ذي قيمة بالنسبة لعالم النفس . وثمة نتاج أدبي مشكوك جدًا في قيمته، كثيرًا ما يكون مهمًا للغاية بالنسبة لعالم النفس) [2] .

وإذا ألمحنا إلى صلة الأدب اليقينية بالنفس منذ مقولات أرسطو القديمة، فإننا نرى بأن ظواهر الإبداع الشعري العربي القديمة فسرت من خلال منظومة القياس النفسي في التراث العربي منذ بواكيره الأولى، وإلا ما فسر شعر عنترة بمقياس النفس ورؤيته، وبقياس تجربة الشاعر عينه، وقد التفت إلى ذلك النقاد العرب القدامى، فكانت لهم إشاراتهم إلى كثير من الملاحظات النفسية التي تتعلق بهذا الموضوع ؛ من ذلك مثلاً قول ابن قتيبة متحدثًا عن البواعث النفسية التي تدفع الشاعر إلى قول الشعر وإبداعه :

---

1 – فن الشعر – أرسطو ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ص 13 ، 14 .

2 – مناهج النقد الأدبي . ص134 .

(وللشعر دواع تحث البطيء، وتبعث المتكلف، منها الطمع، ومنها الشوق، ومنها الشراب، ومنها الطرب، ومنها الغضب) [1].

ويلتفت إلى ذلك أيضًا ابن رشيق رابطًا بين نوازع الحركة النفسية، وبين فنية خلق الغرض الفني وتشكيله ؛ انظر إلى قوله : (قواعد الشعر أربع : الرغبة والرهبة، والطرب، والغضب ؛ فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق والنسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد، والعتاب الموجع) [2].

وهنا يعلق د . عثمان موافي بقوله : (ومما تجدر ملاحظته ؛ أن المنابع النفسية والشعورية للشعر ترجع كما يبدو من هذا النص إلى عاطفتين ؛ هما : الرغبة التي مبعثها الحب، والرهبة التي مبعثها الخوف، وما يتولد عنه من كراهية، كما ترجع إلى انفعالين هما الطرب، والغضب، ويوميء هذا النص إلى أن الغرض الشعري ينشأ عن أحد هذه المنابع، أي عن انفعال، أو عن عاطفة، والواقع أن الغرض الشعري، لا ينشأ عن أي منبع نفسي من هذين المنبعين متفردًا، فالانفعال وحده لا يخلق غرضًا شعريًا، كما أن العاطفة وحدها لا ينشأ عنها غرض شعري ما لم يحركها انفعال ما، وعلى هذا، فإن الغرض الشعري لا ينشأ إلا عن عاطفة ممتزجة بانفعال ما) [3].

---

1 – راجع الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق أحمد شاكر ، ط : دار المعارف القاهرة، ص 78 .

2 – العمدة ، لابن رشيق ، ج 1، ص 120 .

3 – راجع كتاب (من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم) ، د . عثمان موافي ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الرابعة 2004 ، ص 60 .

وإذا كان ابن قتيبة، وابن رشيق قد تنبها لمغزى هذا المؤثر النفسي الرئيس، فإننا نرى جهود القاضي أبي الحسن الجرجاني تقارب جهود القطبين الكبيرين ؛ وذلك في مقدمة كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه) فبحث سيكولوجية أهل الشعر، وأرجعها إلى الطبع والرواية والذكاء، وجعل الدربة مادة لها وقوة لكل واحد من أسبابها، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان، وليس هناك فرق في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والإعرابي والمولد، يقول أبو الحسن الجرجاني :

(وأنت أعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان، وأنها سواء في المنطق والعبارة، وإنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة . ثم قد يجد الرجل منها شاعرًا مفلقًا، وابن عمه وجار جنابه ولصيق طنبه بكيًا مفحمًا، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر، والخطيب أبلغ من الخطيب، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة ؟ وهذه أمور عامة في جنس البشر لا تخصيص لها بالأعمار، ولا يتصف بها دهر دون دهر) [1] .

إذن فأبو الحسن يرجع اختلاف أحوال الشعر من رقة أو صلابة ومن سهولة أو وعورة إلى اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة، ومما فطن له أيضًا أبو الحسن الجرجاني من تلك النواحي رجوع القاريء إلى نفسه، وتأمل حالها عند إنشاد الشعر الرقيق، وتفقد ما يتداخلها من الارتياح، ويستخفها من

---

1 – الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني (أبو الحسن عبد العزيز) تحقيق: أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، ط : إحياء الكتب العربية . ص 13 .

الطرب، ويتصور تلقاء ناظرها من سابق ذكرياتها إذا سمعت هذا الشعر [1].

ويلتقي فكر القاضي أبي الحسن الجرجاني في مسائل التأمل الباطني أو التحليق في دوائر النفس سواء للمبدع والمتلقي على حد سواء بفكر عبد القاهر الجرجاني، وإن كان عبد القاهر قد أشار إليها إشارات عابرة في كتابه (دلائل الإعجاز) إلا أنه قد عالج هذه القضية علاجًا وافيًا في كتابه الخالد (أسرار البلاغة)، وهو الكتاب الذي أسس فيه لنظرية (الأصول في بديع البلاغة وأسرارها) من خلال نظرية نفسية واضحة أقرها في فاتحة كتابه حين قال :

(فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرًا أو يستجيد نثرًا، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول : حلو رشيق، حسن أنيق، وعذب سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده) [2]. وأخذ يطبق ذلك في معظم أبواب البلاغة، كالجناس والتشبيه والاستعارة والتمثيل فهو مثلا يرجع سر التمثيل إلى علل نفسية وأسباب وجدانية ؛ انظر إلى قوله : (فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن ترد من الشيء تعلمها إياه، إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم .. لأن العلم المستفاد من طرق الحواس، أو المركوز فيها من

---

1 – النقد الأدبي أصوله ومناهجه – سيد قطب – دار الشروق بالقاهرة – ط 1980 ص197 .

2 – راجع أسرار البلاغة – لعبد القاهر الجرجاني – شرح محمود شاكر – الناشر مطبعة المدني بالقاهرة وجدة ، ط . 1991 م . ص 6

جهة الطبع وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام) [1].

وحينما يتحدث عن لطيف التشبيه يقول : (إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح .. أنك ترى الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين . وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض، وفي خلقة الإنسان وخلال الروض) [2].

وعلى مثل هذه الأنماط البلاغية وفكرة ربطها بدلالة التأثير النفسي تدور موضوعات كتاب الأسرار، والتي اجتهد فيها عبد القاهر في تفسير ظواهر البلاغة بظواهر التأثير النفسي، حتى باتت الفكرة الرئيسة للكتاب هي (أن مقياس الجودة الأدبية تأثير الصور البيانية في نفس متذوقها) والفكرة في ذاتها فكرة إنسانية قديمة . فقد تنبه الناس منذ العصور البعيدة إلى أن الأدب نوع من الإبانة وآلة للتواصل الفكري ؛ وأن نجاحه يكون على قدر نفاذه إلى عقول سامعيه وقلوبهم . وليس من العجيب أن نظفر بإشارات هنا وهناك – في كتب المؤلفين السابقين من عرب وغير عرب – إلى فكرة التأثير الأدبي . ومعظم النظريات الخالدة في العلم لا تعدم أن تجد لها سوابق في إشارات المتقدمين وكتاباتهم . ولكن الفكرة التي تستحق اسم نظرية هي ما كان لصاحبها فضل عرضها، وتحقيقها،

---

1 – المصدر السابق ص 223 .

2 – المصدر السابق ص 237 .

وتعليلها، واستقراء أمثلتها . وإزالة ما يعرض لها من شبهات، ومحاولة تطبيقها في ميدان الدراسة الخاصة [1].

وإذا كان نقدنا الأدبي القديم قد التفت التفاتة واضحة إلى أثر النفس في بنية النص على كافة محاوره الموضوعية والبلاغية واللغوية، وكذلك النقد اليوناني القديم، فمن الطبيعي إذن أن تؤسس في العصر الحديث مدارس كاملة لرصد نقاط التقاء بنية النص الأدبي بمحاور النفس وتوهجها، وأن بعض هذه المدارس يرجع تاريخها إلى أكثر من مائة عام، وتحديدًا منذ أن استعان فرويد بالأدب منذ بداياته النظرية الأولى، فهو لم يكف منذ عام 1897، عن ربط قراءته لـ (أوديب ملكًا) لسوفوكل ، و(هاملت) لشكسبير بتحليل حالات مرضاه وبتحليله الذاتي لنفسه بغية إنشاء واحد من مفاهيمه الأساسية سمي تحديدًا (عقدة أوديب) . ولقد أضاف فرويد إلى هاتين المأساتين، وفي عام 1928 م رواية لدستويفسكسي هي (الإخوة كرامازوف) حتى أصبح تاريخ نظرية التحليل النفسي لا يمكن فصله عن مثل هذه العلاقات الطويلة مع الأساطير والأعمال الأدبية [2].

إذن فقد أعطت دراسة النصوص الأدبية للتحليل النفسي فرصة تجاوز الحقل الطبي المحض، ليجعل من نفسه نظرية عامة للنفسية والصيرورة الإنسانيتين . كما غير التحليل النفسي للأدب المشهد النقدي[3]، وإن كانت هناك بعض الأسئلة التي تظل تلح على ذهن

---

1 – النقد الأدبي – أصوله ومناهجه . ص 199 .

2 – مقالة مارسيل ماريني (النقد التحليلي – النفسي) من كتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي – ترجمة د. رضوان ظاظا – عالم المعرفة الكويت ط 1997 م . ص 59 .

3 – المرجع السابق ص 60 .

المختصين مثل : ما الحيز الذي يشغله هذا النقد في ساحة الفكر الثقافي ؟ وما هي نتائجه ؟ وما الذي يمكن أن يغيره في قراءتنا للنصوص ذاتها وفي كيفية رؤيتنا لماهية الممارسة الفنية ؟

إن الإجابة على مثل هذا التساؤل قد تقودنا إلى الوقوف على حقيقة ثابتة في مدار قضية مهمة، تشغل بال المختصين بدراسة النقد المعاصر، وربطه بحركة الأدب على مختلف فروعه، ألا وهي قضية (وظيفة الناقد) بل و (وظيفة النقد المعاصر ذاته)، فهل هي مجرد إعداد (وصفات رتيبة ومملة ومتكررة) لقراءة النصوص الأدبية الجديدة ؟ أم أنها في محاولات تجديدية دائمة لإبداع رؤي تأويلية تعطي مرادفًا صحيحًا لـ (حقيقة النص) أمام الوصفات الرتيبة المملة المكرورة، والمتوارثة في أغلب الأحيان ؟

إن كسر جمود حركات النقد التقليدي هي التي دفعت النقاد المعاصرين إلى اللجوء إلى منحى (التحليل النفسي) كمعيار أولي لنقد تحليلي حقيقي يبحث عن قراءة جديدة وصحيحة في فن تأويل النص الأدبي، نقد تنشط فيه قراءة ما يسمى باللاوعي في حدود سقف النص، أو في سماواته المفتوحة، وهو نقد يوقظ النص في نفس القاريء، حتى تكون القراءة التأويلية خارجة عن نطاق الحكم المسبق لما ستقع عليه، وهنا تتبادر إلينا أقوال الأستاذ الدكتور عثمان موافي في تعليقه على اتجاهات هذا المنحى النقدي .. في قوله : - (ونقد دراسات هذا العالم، التي يعوّل فيها كثيرًا على اللاوعي أو العقل الباطن، من أوائل الدراسات التي عنيت بتحليل شخصيات أبطال بعض الأعمال الأدبية مثل مسرحية أوديب ملكًا للأديب اليوناني (سوفوكليس)، فقد حاول – فرويد – تحليل شخصية أوديب، والكشف عن عقدته النفسية مشيرًا إلى أن مسلكه نحو أمه جاء نتيجة لرغبة مكبوتة في اللاوعي، لذا قتل أباه وحقق رغبته، وحين

اكتشف عن طريق الوعي ما حدث ندم وعاقب نفسه، وقد أطلق فرويد على الرغبة المحرمة تجاه الأم وقتل الأب، عقدة أوديب، وحاول تفسير بعض أبطال أعمال أدبية أخرى في ضوء هذه العقدة، ومن ذلك مثلا شخصية هاملت لشكسبير، الذي ادعى فرويد أن بطل هذه المسرحية مصاب بعقدة أوديب) [1].

وتبقى هنا إشارة لابد من إثباتها، وقد انتبه إليها أستاذنا الدكتور عثمان موافي، ألا وهي أن دراسة علم النفس وعلماء النفس للأعمال الأدبية ومبدعيها وتحليلهم لشخصيات الأدباء والفنانين على النحو الذي رأيناه تغفل في كثير من الأحيان القيم الفنية والجمالية للأعمال الأدبية التي لا يستطيع إدراكها سوى الناقد الأدبي، يقول د. موافي: (إن هذه الدراسات لا تنهض وحدها بديلاً عن النقد الأدبي، إن عالم النفس لا يصنع نقدًا أدبيًا يستطيع أن يفهم عملاً ما حين يصل إلى العمق، حيث اللاوعي الجماعي أي الاستعداد النفسي مشكلاً بقوة الإرث، ولكن قيمته الفنية لا تخصه) [2].

والفكرة ذاتها تنبه إليها كثير من النقاد المعاصرين، فالناقد الكبير إنريك أندرسون – الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية – يرى أنه من الواجب علينا أن نكون نقادًا جيدين من أن نكون علماء نفس سيئين، باعتبار أن علم النفس مهموم بالفرد في حين أن النقد مهموم بالعمل الأدبي نفسه [3]. وهي رؤية اهتم بها النقد الجديد، والنقاد الجدد، وقد صيغت في عدة فرضيات متعلقة بالنص، منها فرضية استقلال النص عن مؤلفه، باعتبار أن الانتباه إلى مؤلف النص يصرف الانتباه عن مركزية النص

---

1 – مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية ص 46 ، 47 .

2 – المرجع السابق ص 51 .

3 – راجع مناهج النقد الأدبي – لإنريك أندرسون إمبرت – ص 132 .

ذاته، ويكون أكثر ميلاً لتوكيد تفكك الحساسية من خلق انسجام بين العناصر المتباينة، ولأن إدراك وجود المؤلف يخلق فجوة بين القاريء والنص، فإنه يعمق الفروق التاريخية ويميل إلى ترجيح معنى النص لصالح هدف المؤلف سواء أكان هدفًا معروفًا أم مفترضًا، وهكذا فإن النقد الجديد لا يشجع البحث في سيرة المؤلف وسيكولوجيته فقط – على نقيض وظيفة علم النفس – وكذلك لا يشجع النقد الجديد البحث في هدف المؤلف من كتابة القصيدة، لأن هدف المؤلف مشهور بعدم الاستقرار، فالمؤلفون يغيرون أفكارهم وهم يكتبون العمل، ونحن لا نملك وسيلة لاستنتاج أهداف المؤلف بصورة دقيقة (قد تكون حالة شكسبير، الذي لا نعرف شيئًا عن حياته الخاصة وأهدافه كمؤلف، حالة توضيحية) [1].

وإذا نظرنا لرؤى واحد من أبرز نقادنا المعاصرين، الذين شغلوا أنفسهم بقضية المنهج النفسي في ضوء الدراسات النقدية ما بين التنظير والتطبيق، ووضعوا له أكثر من إطار تطبيقي وفني، وبحثوا عن أكثر من دلالة في الفكر التطبيقي لهذا المنهج ألا وهو الدكتور عثمان موافي، من خلال مؤلفاته وبحوثه المنشورة ومنها بحثه المنشور بكتابه (مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية) فسنجد أن محور الرؤى للمنهج النفسي يتشكل عند الدكتور موافي حول إطارين نقديين مؤسسين، الإطار الأول استقرائي تحليلي لجهود السابقين في التعامل مع المنهج النفسي في نطاق القياس لمنظومة الإبداع الأدبي مع التعليق بالرأي النقدي حول بعض القضايا التي نقلتها إلينا جهود السابقين، وهو ما يمثل عنده الجانب التنظيري الموضوعي، والإطار الثاني يتمحور حول فكرة (الموقف النقدي) لدى

1- نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر – ديفيد بشبندر – ترجمة د . عبد المقصود عبد الكريم – سلسلة الأدب – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة . ص 36 .

الدكتور عثمان موافي من جوانب التطبيق الحقيقي للمنهج النفسي على النص الشعري القديم والمعاصر .

وإذا تعرضنا للإطار الاستقرائي التحليلي فسنجد أن الدكتور موافي أسس له من عدة زوايا لعل من أهمها قراءته للأبعاد اليقينية التي تربط بين مفهوم الشعر وظواهر النفس البشرية في التراثين العربي والغربي، وفي رؤى المعاصرين ونظرياتهم، بداية من زمن أرسطو ونظريته في المحاكاة، ومرورًا بتفسيرات اليونانيين القدامى، ووصولا إلى زمن فرويد ويونج وأدلر في العصر الحديث، والأمر ذاته في قراءته لجهود النقاد العرب القدامى أمثال ابن قتيبة وابن رشيق والقرطاجني وغيرهم، ووصولا إلى تفسيرات طه حسين والعقاد والمازني، والثابت أن أستاذنا الدكتور موافي لم يقف من قضية العرض لجهود القدامى موقف الراصد لتلك الجهود أو الشارح لها والمعلق عليها، ولكن تمثل موقفه النقدي في مناقشة تلك الرؤى وفي الإضافة إليها أو معارضتها على وجه الدقة، فحينما يعرض لمفهوم الشعر ولصلته بالأداء النفسي في التراث العربي، ويحدد لأصله اللغوي يستند لتعريف ابن منظور الذي يربط فيه بين معنى الشعر وعالم النفس الإنسانية، لاعتبار أن الشعر من الشعور، ولذا يقال ليت شعري أي ليتني علمت [1] وهنا يعقب الدكتور عثمان موافي بقوله : - (وعلى هذا فالشعر علم، ولكنه ليس علمًا يتناول الظواهر الخارجية في العالم المادي المحسوس، بل علمًا يتناول ما راود المشاعر والأحاسيس ويكشف عن خفايا النفوس وأسرارها الدفينة) [2]، وحينما يعرض لفكرة (شيطان الشعر) الذي اعتقد العرب القدامى فيها، وكذا فكرة (ربة الشعر) التي

---

1 - لسان العرب - لابن منظور - حرف الراء فصل الشين .

2 - راجع مناهج النقد الأدبي ص 42 .

اعتقد اليونان فيها يعقب على ذلك بقوله : - (وبغض النظر عن كون هذا الاعتقاد صحيحًا بالقياس إلى معتقدات هذه العصور القديمة، أو ليس صحيحًا بالقياس إلى الفكر النقدي في العصر الحديث، فالذي يعنينا من هذا كله هو أن هذا التصور عن عالم الشعر، يؤكد صحة القول بأن الشعر ظاهرة نفسية) [1].

ونجد له موقفا ظاهرًا حينما يعرض لقضية مهمة مثل قضية الصلة بين موضوع الشعر وطبع صاحبه، وذلك على نحو ما يبدو من كلام أرسطو، وهو بصدد الحديث عن أثر طبع الشاعر في الغرض الشعري الذي يتناوله، حيث يقول : (ولقد انقسم الشعر وفقًا لطباع الشعراء، فذوو النفوس النبيلة حاكوا الفعال النبيلة وأعمال الفضلاء، وذوو النفوس الخسيسة حاكوا فعال الأوفياء، فأنشأوا الأهاجي، بينما أنشأ الآخرون الأناشيد والمدائح) [2]، وهنا يعقب الدكتور موافي بقوله :

(ومع إيماني بصدق رأي أرسطو في أن موضوع الشعر يتأثر بطبع الشاعر، ودخائل نفسه، فإنني في الوقت نفسه لا أتفق معه في قصره بعض الأغراض الشعرية على طائفة من الشعراء دون طائفة أخرى . فالمدح ليس مقصورًا على ذوي النفوس النبيلة من الشعراء، وليس الهجاء مقصورًا على ذوي النفوس الدنيئة من الشعراء ؛ فقد يجيد كل طائفة في الغرضين . وتراثنا الشعري خير شاهد على هذا ؛ فقد حفل بكثير من الشعراء الذين أجادوا في الهجاء، وهذه القضية ترجع في رأيي إلى الحالة النفسية للشاعر حين يقدم على أي عمل شعري، بالنظر إلى كونه إنسانًا لا يستقر على

---

1 - نفسه ص 42.

2 - فن الشعر - لأرسطو ص 13 .

حالة واحدة بل تتغير حالته تبعًا لتغير انفعاله، وما يتركه من أثر في عاطفته و تجربته الشعرية) [1].

وكذلك نلمس له موقفا ثابتا يمثل قمة الجانب التنظيري عنده حينما يعرض في مدخل بحثه لآراء نقادنا العرب القدامى حول فكرة البواعث النفسية التي تدفع الشاعر إلى قول الشعر وإبداعه، ومحاولة ربطهم لهذه البواعث بفنية تشكيل الغرض الشعري مثل قول ابن رشيق : (بأن قواعد الشعر أربع : الرغبة والرهبة والطرب والغضب ؛ فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق والنسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد، والعتاب الموجع) [2]. وهنا يعقب الدكتور عثمان موافي برأي معارض حين يقول : ومما تجدر ملاحظته أن المنابع النفسية والشعورية للشعر ترجع، كما يبدو من هذا النص إلى عاطفتين ؛ هما : الرغبة التي مبعثها الحب، والرهبة التي مبعثها الخوف، وما يتولد عنه من كراهية، ويوميء هذا النص إلى أن الغرض الشعري ينشأ عن أحد هذه المنابع، أي عن انفعال أو عن عاطفة . والواقع أن الغرض الشعري لا ينشأ عن أي منبع نفسي من هذين المنبعين منفردًا، فالانفعال وحده لا يخلق غرضًا شعريًا، كما أن العاطفة وحدها لا ينشأ عنها غرض شعري ما لم يحركها انفعال ما، وعلى هذا فإن الغرض الشعري لا ينشأ إلا عن عاطفة ممتزجة بانفعال ما [3].

---

1 - مناهج النقد الأدبي ص 43 .

2 - العمدة - ج1 ص 120 .

3 - راجع كتابي الدكتور عثمان موافي (مناهج النقد الأدبي ص45 . ومن قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم ص 60 - 66) .

وإلى جانب رؤية الدكتور عثمان موافي لفكرة محاكاة الرأي النقدي في التراثين العربي والأجنبي ومعارضته، وتصويبه في بعض الأحيان، نجد أن الدكتور عثمان يعمد كثيرًا إلى اعتماد فكرة (الخروج بالنتائج) في مسألة عرضه لآراء السابقين من القدماء ولموقفهم من قضية الاتجاه النفسي، أو الوصول إلى نقطة الخلاصة في الحكم النقدي البين في تلك المسألة، على سبيل قوله: (ويبدو من استقراء جهود القدماء في هذه الناحية، أن تناولهم للاتجاه النفسي لم يتجاوز في كثير من الأحيان حد الملاحظة النفسية أو وصف الظاهرة موضوع الدراسة أو بعض جوانبها، ومن ثم فإنهم لم يعنوا بتحليل العمل الأدبي، والكشف عن أبعاده النفسية، أو تحليل شخصية الأديب أو المبدع أو شخصيات العمل الأدبي نفسه، على نحو ما نرى في بعض الدراسات النقدية الحديثة التي أفادت من معطيات علم النفس ومناهجه، وخاصة بعد تفسير الأحلام لفرويد)[1].

وتتبدل نظرة الدكتور موافي لقضية تحليل العمل الأدبي، والكشف عن أبعاده النفسية، أو تحليل شخصية الأديب والمبدع أو شخصيات العمل الأدبي، حينما يعرض لجهود الغربيين في هذا النطاق ويقف كثيرًا أمام جهود فرويد في تفسيره لبعض الأعمال المسرحية الكبرى مثل مسرحية (أوديب ملكًا) للأديب اليوناني (سوفوكليس)، وهي المسرحية المبنية على أسطورة من أساطير الأدب اليوناني القديم، وقد علق الدكتور موافي على قراءة فرويد لهذا العمل المسرحي بقوله: (وقد حاول فرويد تحليل شخصية أوديب، والكشف عن عقدته النفسية مشيرًا إلى أن مسلكه نحو أمه جاء نتيجة لرغبة مكبوتة في اللاوعي، لذا قتل أباه وحقق رغبته، وحين اكتشف عن طريق الوعي ما حدث ندم وعاقب نفسه،

---

1 - مناهج النقد الأدبي ص 46 .

وقد أطلق فرويد على الرغبة المحرمة تجاه الأم وقتل الأب، عقدة أوديب، وحاول تفسير بعض أبطال أعمال أدبية أخرى في ضوء هذه العقدة، ولم يقتصر فرويد على تحليل شخصيات بعض الأعمال الأدبية، ولكنه أضاف إلى ذلك، تحليل شخصيات بعض الفنانين والأدباء مثل الفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي، الذي يعد أعظم فناني القرن الخامس عشر الميلادي)[1].

إذن تتبدى لنا من خلال هذا التعليق رؤية الدكتور عثمان موافي التنظيرية لقضايا المنهج النقدي النفسي متوائمة مع موقفه النقدي الثابت والمعروف من أهمية الربط بين القراءة النفسية للعمل الأدبي وبين فنيات تحليل اتجاهاته وأبطاله وأحداثه وتجلياته ووصولاً إلى رمز العمل ذاته، وإن كانت رؤية الدكتور موافي تتمركز أحيانا في رفض فكرة المبالغة في نطاق التحليل النفسي، وخاصة من جهة علماء النفس، أو الإغراق في تحميل الحدث لأكثر من رمز، ولذا نراه يعرض لهذا المنحى في نطاق تعليقه لموقف بعض تلامذة (فرويد) من فكرة تحليل شخصيات المبدعين من الأدباء والفنانين، يقول د. موافي: (ومما تجدر ملاحظته أن بعض تلامذة فرويد اعترضوا على كثير من آرائه في تحليل شخصيات المبدعين من الأدباء والفنانين ونظرته إليهم على أنهم مصابون ببعض الأمراض النفسية والكبت الجنسي، ورده نبوغهم إلى هذه الناحية، فليس من الضروري أن يقصر هذا على وصف المبدعين من الأدباء والفنانين، الذين هم في أغلب الأحوال شخصيات سليمة من أي مرض نفسي أو عضوي)[2].

والدكتور موافي يرى أن الأجدر في هذه المسألة هو أن يقوم بمهمة النقد والتحليل فئة من النقاد يجمعون بين الثقافتين الأدبية والنفسية،

---

1 - نفسه ص 47 ، 48 .

2 - المرجع السابق ص 49 ، 50 .

باعتبار أن هؤلاء النقاد أقدر من علماء النفس على سبر أغوار العمل الأدبي، وتقويمه فنيًا ونفسيًا، ويضرب المثل لذلك بالناقد الإنجليزي ريتشاردز الذي انطلق في دراساته النقدية لبعض النصوص الأدبية من قاعدة نقدية أسس عليها دراسته، وهي أن نفسية حدث القراءة، أقرب إلى النقد من نفسية حدث الكتابة، ولذا فقد ركز في دراسته النقدية ذات المنزع النفسي على القاريء وليس على الكاتب أو المبدع [1].

ويقف كثيرًا أمام جهود ريتشاردز النقدية، لأسباب عديدة أهمها : أنه واحد من أبرز النقاد الذين اتخذوا المنحى النفسي في دراساته متأثرًا بقواعد علم النفس ونظرياته، واتجاهاته التفسيرية لهياكل الإبداع، ومن تلك الجهود التي وقف أمامها د. موافي جهود ريتشاردز في الكشف عن وظيفة الشعر ومنابعه النفسية والشعورية، وقيمته من حيث كونه فنًا من الفنون، مناقشًا النظريات التي تتعلق بذلك، مثل نظرية التوصيل، ونظرية القيمة، وما يتصل بهما من قضايا نقدية، مثل الفن والأخلاق والشعر لأجل الشعر، واللذة، والانفعال والذاكرة ومفهوم القصيدة وتحليلها، والدلالات النفسية للوزن والإيقاع وقد ضمن هذا كله كتابه مباديء النقد الأدبي [2]، وكذلك كتابه (معنى المعنى) الذي ألفه بالاشتراك مع عالم النفس أوجدن ويظهر فيه هذا المنحى النقدي واضحًا، وهو يقوم أساسًا على التفريق بين لغة العلم ولغة الأدب، والكشف عن خصائص كل منهما

---

1 - راجع مناهج النقد الأدبي ، لإمبرت ، ص141 ، ومناهج النقد الأدبي ، د . عثمان موافي ص 52 .

2 - راجع مباديء النقد الأدبي ، لريتشاردز ، ترجمة محمد مصطفى بدوي .

مثل القول بأن لغة العلم مجردة من أي انفعال أو عاطفة أما لغة الأدب، فهي لغة ممتزجة بالانفعال أو العاطفة [1].

وحينما يقرن الدكتور موافي بين جهود ريتشاردز وغيره من الغربيين، وجهود النقاد العرب في استعمال هذه اللغة التي ينشأ عنها المعنى الأدبي، وهو ما يعرف في البلاغة العربية بالمعنى المجازي، نجده يحسب للبلاغي العربي الكبير عبد القاهر الجرجاني سبقه لعلماء الغرب أمثال ريتشاردز وأوجدن في إطلاق هذا المصطلح (معنى المعنى) على المعنى المجازي، كذلك يحسب له سبقه في تحديد مفهوم هذا المصطلح النقدي [2].

وتتسع دوائر الرؤية الاستقرائية التحليلية للدكتور موافي في قراءته للمنهج النقدي النفسي، بوقوفه عند جهود الجامعيين العرب – إن صح التعبير – الذين أسهموا بدراساتهم في حركة التجديد لمناهج الدراسات الإنسانية في الجامعات المصرية منذ أواخر العشرينيات من القرن العشرين، ويأتي في مقدمتهم الأستاذ أمين الخولي، وهو من أوائل الأساتذة الذين دعوا إلى الإفادة من علم النفس في الدراسات النقدية والأدبية، وقد عبر عن ذلك في بحث نشره في مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة 1934 م، تحت عنوان (البلاغة وعلم النفس)، كما نادى بضم مقدمة نفسية إلى الدرس البلاغي تعرف (الدارس بالقوى الإنسانية ذات الأثر في حياته الأدبية، كالوجدان والذوق والخيال، وتزيد فهمه للاعتبارات التي أجملها

---

1 – مناهج النقد الأدبي ص 54 .

2 – راجع دلائل الإعجاز – لعبد القاهر الجرجاني ص 263 .

القدماء تحت كلمة مقتضى الحال، وذكروا منها في أسباب الحذف والذكر، والتقديم والتأخير اعتبارات نفسية محضة)[1]

ويقف كثيرا أمام جهود أستاذ جامعي آخر دعا إلى إبراز صلة علم النفس بالدراسات الأدبية، وضم هذا الموضوع إلى مواد الدراسة بالأقسام المعنية بتدريس اللغات وآدابها بالجامعة، وهو الأستاذ محمد خلف الله أحمد، الذي عرض وجهة نظره في هذا الموضوع في مجلة الثقافة، وأشار في بعض بحوث له إلى وجود بذور للدرس النفسي في بعض كتب التراث البلاغي لعبد القاهر الجرجاني، وهو الكتاب الذي يراه محمد خلف الله أحمد قائمًا على نظرية نفسية، مؤداها أن مقياس الجودة الفنية، يرجع إلى تأثير الصور البيانية في نفس متلقيها [2]. ويعد كتاب (الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده) لمحمد خلف الله من أبرز الكتب التي صادفت روح التجديد في هذا الاتجاه، وقد ضمنه بحوثه في هذا الموضوع، وعرض فيه لنشأة الاتجاه النفسي في الدراسات الأدبية والنقدية، وضمنه نماذج تطبيقية لدراسات أدبية، أفادت من علم النفس سواء في الدراسات العربية الحديثة، أم في الدراسات الغربية [3].

كذلك يثبت الدكتور موافي للدكتور مصطفى سويف جهده الكبير المتمثل في دراسته الرائدة الجادة في هذا النطاق النقدي النفسي، والمعروفة بـ (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة)، والتي اعتمد صاحبها على أسس المنهج التجريبي الموجه وتحليل مسودات الشعراء،

---

1 – دائرة المعارف الإسلامية ، الترجمة العربية ، مادة بلاغة ، ج 7 .

2 – من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – محمد خلف الله أحمد – ص 206 – 210.

3 – راجع كتاب (الوجهة النفسية في دراسة الأدب) لمحمد خلف الله ، وكتاب مناهج النقد الأدبي ص 58 .

وتوجيه بعض الأسئلة إلى شعراء عرب معاصرين له، وهذه الأسئلة تتعلق بمجالات الإبداع الشعري عند كل منهم، وكيف ينظم شعره ؟؟ وهل يغير أو يبدل في هذا الشعر ؟، وقام بتحليل إجابات هؤلاء الشعراء [1].

وإذا أردنا أن نضع أيدينا على الجانب التطبيقي في دراسة الدكتور عثمان موافي للمنهج النقدي النفسي، فإننا نتلمس أطراف هذا المنهج من خلال رؤيته لجوانب تطبيق هذا المنهج في ثنايا عرضه ومناقشاته لمحاولات نقادنا وأدبائنا الكبار لطبيعة تطبيق هذا المنهج على النموذج الشعري خاصة، ونقصد بنقادنا الكبار : العقاد والمازني وطه حسين ومصطفى سويف والنويهي وعز الدين إسماعيل وغيرهم باعتبار أنهم نجحوا في توظيف المنهج النفسي على أصل البنية النصية، وعلى فطرة الإبداع في كتبهم ودراساتهم المختلفة، كما أنهم نجحوا في تبرير هذا التوظيف، وفي الدفاع عن موقفهم بتفضيل المنهج النفسي على سائر المناهج، بالشواهد الحية مرة وبالأدلة العلمية مرات أخرى . ويمكننا من خلال رصد جهودهم من مرآة الدكتور عثمان موافي، ومن خلال مناقشاته لتلك الجهود أن نخرج بتصور علمي واضح ومحدد لما يمكن أن نسميه بـ **(الموقف النقدي)** للدكتور عثمان حيال إمكانية الاكتفاء بفروض المنهج النفسي في تطبيق نظريات التحليل الأدبي والبناء النصي المعاصر، وفي خلق النظرية النقدية الجديدة ذاتها، أم أنه منهج لا يفي بالغرض المطلوب في تطبيق الوجهات النقدية المعاصرة ؟ !

بداية نجد الدكتور موافي يقف طويلاً أمام رؤية شيخ نقاد القرن العشرين عباس محمود العقاد لسبب جلي، ولقصد واضح، وهو تصدي

---

1 – راجع كتاب (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة) ، ط : دار المعارف – القاهرة .

العقاد القوي ودفاعه الشديد عن هذا المنهج النفسي مفضلاً إياه على سائر المناهج والمدارس النقدية، ويتضح ذلك من خلال قول الأستاذ العقاد نفسه في يومياته : (إذا لم يكن بد من تفضيل إحدى مدارس النقد على سائر المدارس، فمدرسة النقد السيكولوجي أو النفساني أحقها جميعًا بالتفضيل في رأيي، وفي ذوقي معا، لأنها المدرسة التي نستغني بها عن غيرها، ولا نفقد شيئًا من جوهر الفن، أو الفنان المفقود) [1]، ويبرر ذلك (بأن العلم بنفس الأديب، يستلزم العلم بمقومات هذه النفس من أحوال عصره، وأطوار الثقافة والفن فيه) [2].

ويرى أن صلة العقاد بالمنهج النفسي أو النفساني كما يطلق عليه، لم يقف عند حد تفضيل منهج على غيره من المناهج، وإنما كان من مقاصدها الإفادة من بعض معطيات هذا المنهج في دراسة سير بعض عظماء التاريخ مثل بعض الأنبياء، وبعض الخلفاء والقواد، ورجالات العصر، الذين أثروا في أحداث التاريخ تأثيرًا كبيرًا، والبحث عن الناحية النفسية يهدف إلى الكشف عن عبقرية كل واحد منهم، التي تتمثل في نواحي العظمة في هذه الشخصيات، حيث يمكن اتخاذها مثلاً عليًا يقتدي بها الشباب، ورجال المستقبل، وفي ضوء هذا المنهج تناول كذلك سير بعض الشعراء من مختلف العصور الأدبية ومنهم عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة، وأبي نواس، وابن الرومي، وبشار، والمتنبي وغيرهم [3].

وللوقوف على الجانب التطبيقي عند العقاد في دراسته للمنهج النفسي يتخير لنا الدكتور موافي دراستين مهمتين للأستاذ العقاد وهما :

---

1 – اليوميات – عباس محمود العقاد ، ج 2 ص 10 .

2 – دراسة في المذاهب الأدبية والاجتماعية – عباس محمود العقاد – ص 111 .

3 – مناهج النقد الأدبي ص 60 .

دراسته عن ابن الرومي، ودراسته عن أبي نواس، ويبرر ذلك الدكتور موافي بأن كل دراسة منهما تمثل اتجاهًا مباينًا لاتجاه الدراسة الأخرى، فدراسة العقاد لابن الرومي ومحاولته وصف ملامحها الخلقية والخلقية، استعان فيها بتأويلات بعض علماء النفس، ويبدو هذا بوضوح من رده بعض صفات ابن الرومي وطبائعه إلى اختلال أعصابه، انظر إلى قول العقاد : (وكل ما نعلمه من نحافته وتفرز حسه، وشيخوخته الباكرة، وتغير منظره، واسترساله في الوجوم، واختلال مشيته، وموت أولاده، وطيرته ونزقه وشهوانيته الظاهرة في تشبيبه وهجائه، وإسرافه في أهوائه ولذاته، ثم كل ما نطالعه في ثنايا سطوره، من البدوات والهواجس، قرائن لا تخطيء فيها الدلالة الجازمة على اختلال الأعصاب وشذوذ الأطوار، بل تخطيء فيها الدلالة على نوع الاختلال ونوع الشذوذ) [1] . ومن ذلك أيضًا وصف العقاد لابن الرومي بأنه طفل لم يفارق الطفولة في أي مرحلة من مراحل حياته، ويتضح هذا من قوله : (فابن الرومي هو ذلك الطفل في سخره وضحكه وتهكمه وهجائه، لسنا نفهمه حق فهمه إلا إذا تأملناه أبدًا في حدة الإحساس واخضراره، على هيئة الطفولة النامية، التي لا تجف ولا تشيخ وإن جفت المفاصل، وشاخت الأوصال) [2] .

ويربط العقاد بين بعض صفات ابن الرومي النفسية وبين أثرها الكبير في صياغته الشعرية مثل يقظة حواسه ؛ كحاسة البصر، وحاسة السمع، وحاسة اللمس [3]، وهنا يعقب الدكتور عثمان موافي بقوله : (وهذه المزايا والصفات الحسية والنفسية، طبعت فن ابن الرومي بطابعها

---

1 - ابن الرومي حياته من شعره - ص 122 .

2 - المرجع السابق ص 136 .

3 - المرجع السابق ص 271 .

الخاص، وصقلت موهبته الشعرية، وعمقت ملكة الخيال عنده ؛ فاتسم فنه الشعري بتشخيص المحسوسات، وتجسيم المعاني المجردة، وبرع في فن التصوير المطبوع بما يشتمل من لون وشكل ومعنى وحركة) [1].

وظاهر قول الدكتور موافي يشي باتفاقه مع رؤية العقاد التي يُحكَم فيها طبائع النفس على زوايا الفن، ولكن يتبدى لنا الموقف النقدي الكامل لأستاذنا الدكتور عثمان موافي، وهو في إطار نظرته التطبيقية لدمج أواصل المنهج النفسي بمفردات العمل الشعري، حينما يوجز الحكم على جهود الأستاذ العقاد في رؤيته النفسية بقوله : (ومهما يكن من أمر، فإن العقاد انطلق في دراسته عن ابن الرومي من محاولة الكشف عن الصلة بين فن هذا الشاعر وصفاته النفسية والخلقية، التي تشكل شخصيته بعناصرها المختلفة، وقد اعتمد في هذه الدراسة على نصوص من شعر هذا الشاعر، تمثل أغراض شعره كافة، ومزج فيها بين المنحى النفسي والمنحى الفني، حيث استعان بتأويلات بعض علماء النفس في تحليل شخصية هذا الشاعر، وأثرها في شعره، وتفسير بعض الظواهر النفسية، والفنية في شعر ابن الرومي، ويلاحظ أنه غلب في هذه الدراسة، المنحى الفني على المنحى النفسي، ولذا يمكننا القول بأن العقاد يعد في هذه الدراسة ناقدًا أديبًا، وليس محللاً نفسيًا) [2].

إذن فرؤية الدكتور موافي خرجت أصلاً من طبيعة تطبيق الأستاذ العقاد لمنهجه النفسي على واقع الشواهد الشعرية لفن ابن الرومي وإبداعه، ولم تقف عند حد مجرد الرؤية التي زج بها العقاد منذ استفتاحية كتابه، ومن هنا وجد أستاذنا الدكتور عثمان موافي بأن العقاد لم ينجح في أن يغير

---

1 - مناهج النقد الأدبي ص 61 .

2 - نفسه ص62 .

من صبغته كناقد فني وأدبي، ولم ينجح في ارتداء ثوب المحلل النفسي، لسبب واحد وهو أن تفسير بعض الظواهر الشعرية لا يمكن أن ينحصر في دوائر وجدانية وشعورية مغلقة كالظواهر النفسية التي أجهد العقاد نفسه في إثباتها، وفي الاستعانة بتأويلات بعض علماء النفس في فرضها على الصفحة الشعرية لفن ابن الرومي، ولذا كانت مقولة الدكتور موافي الأخيرة في محلها، وهي أن العقاد يعد في هذه الدراسة ناقدًا أدبيًا، وليس محللا نفسيًا، وأن الدراسة غلب عليها المنحى الفني على المنحى النفسي.

والرأي ذاته تصدى فيه الدكتور موافي لرؤية (المازني) لشعر ابن الرومي، والتي التقى فيها مع العقاد في كثير من الآراء التي تتصل بخصائص شخصية ابن الرومي، وصلتها بفنه الشعري، ولكن المازني غالى كثيرًا في تصوره لاختلال ابن الرومي، إذ اعتبره مظهرًا من مظاهر عبقريته التي تعد ضربًا من الجنون، فالعبقرية والجنون على حد تعبيره (صنوان) وأنهما جميعًا مظهران لشر واحد، هو اختلال التوزان في الجهاز العصبي [1]

أما دراسة العقاد لفن أبي نواس، والتي وقف حيالها الدكتور عثمان موافي في إطار قراءته التطبيقية لجهود العقاد في هذا النطاق، فهي دراسة مستهلة بفرضية، وهي أن أبا نواس مصاب بالنرجسية، وأخذ العقاد يشرح مفهوم هذه العقدة المستقاة من الأساطير اليونانية القديمة، وخلاصتها أنها آفة من آفات الغريزة الجنسية لكل من يشتهي ذاته، ومن مظاهرها كما يرى العقاد الاستشهاء الذاتي، والتوثين الذاتي، ويرتبط بذلك مظاهر التلبيس أو التشخيص، ولازمة العرض، ولازمة الارتداد [2].

---

1 - حصاد الهشيم - لعبد القادر المازني - إصدارات الهيئة العامة للكتاب - ص274 .

2 - أبو نواس - عباس محمود العقاد - ص 32 - 42 .

ويرى أن هذه اللوازم تنطبق على أبي نواس في (خلائقه الأولية وخلائقه التبعية، وتفسر جميع أحواله، حيث لا يفسرها ضرب آخر، من ضروب الشذوذ في المسائل الجنسية) [1].

فظاهرة التلبيس تظهر في غزله بالمذكر، حين يلبس شخصيته شخصًا آخر متوهمًا أنه هو ذاته، ومما يوضح ذلك ؛ تغزله في غلام به لثغة في الراء، كلثغة أبي نواس، وتبدو ظاهرة العرض عنده في مجاهرته بارتكاب المحرمات والمجون، ويضرب العقاد على ذلك عشرات الأمثلة من شعر أبي نواس، أما لازمة الارتداد فتبدو واضحة في وصفه لندمائه بأنهم أكفاء له، وتوهمه أنهم على شاكلته [2]، إذن فالعقاد يريد أن يؤكد صحة فرضيته، بأن أبا نواس مصاب بعقدة النرجسية، ولذا فهو يثبتها صراحة بقوله :- (وخلاصة القول في النرجسية أن أبا نواس كان من الشواذ في تكوينه الجنسي، ودوافعه النفسية، ولكن شذوذه غير الشذوذ الذي اشتهر به، وهو إيثاره الذكران على الإناث، ولابد من التفرقة بين الشذوذين، لأن النرجسية تفسر أطوار أبي نواس جميعًا، والشذوذ لا يفسرها، وهذا عدا التفرقة بين الشذوذين، للكشف عن بواطن السريرة وفهم الأخلاق، والأخلاق الاجتماعية، والنرجسية تفسر الولع بالمجاهرة الإباحية، ولكن الشذوذ الآخر لا يفسرها) [3].

وإذا نظرنا إلى الموقف النقدي للدكتور عثمان موافي من رؤى العقاد التي يتجاوز في بعضها حدود كونه ناقدًا أدبيًا دقيقًا إلى حدود أخرى تناقض طبيعة تكوينه الأدبي والثقافي فنجد الدكتور موافي وبصفة

---

1 - المرجع السابق ص 33 .

2 - نفسه ص 42 .

3 - نفسه 45 .

محايدة ينصف أبا نواس من بعض أحكام العقاد، وذلك لاعتبار مهم وهو أن العقاد في رؤيته تناول قضايا ومصطلحات علمية تتصل بعلم الطب النفسي، لم تكن قد تحددت معالمها بعد، وتعسف في تطبيقها على شخصية أبي نواس ومسلكه في الحياة، منها - ومن باب الإمعان في إلصاق هذه العقدة بأبي نواس - أخذ يتحدث عن بعض الموضوعات التي تتصل بعلمي الأحياء والطب الجسماني، ثم التكوين الجنسي والغدد، وعلاقات هذا النرجسي وسلوكياته، محاولاً إقناع القارىء بأن هذه الصفات الجسدية والجنسية تنطبق على أبي نواس، وعلاوة على ذلك فإن كثيرًا من المعلومات التي ذكرها عن الغدد لم تعد ذات قيمة علمية في نظر علماء الطب النفسي المعاصرين، وبالطبع فإن النقاد يصعب عليهم إدراك كنه هذه الحقائق العلمية، ثم إن تطبيقها على شخصيات الأدباء والمبدعين يتطلب شيئًا من الحذر والروية، فقد يؤدي عدم الالتزام بذلك إلى مزالق خطيرة، ومهما يكن من أمر، فإن العقاد لم ينطلق في دراسته لنرجسية أبي نواس من فن الشاعر، على نحو ما صنع في دراسته عن ابن الرومي، بل انطلق من فرض ذهني، وراح يدلل على صحته، ولذا لم يتمكن من الوصول إلى نتائج دقيقة في دراسته لهذا الموضوع [1].

إذن فالرؤية التطبيقية للدكتور عثمان موافي تتمركز في نقطة تدور حولها أصداء نقدية واعية تأتي في مقدمتها، قضية ثقافة الناقد أو المبدع، والتي مهما بلغت من ساحات وجزر وحدود إلا أنها لا يمكن أن تستوعب كل العلوم أو الفنون أو الثقافات، ومن الخطأ أن يشغل الناقد أو المبدع نفسه في الإطلاع على علوم الطب – على سبيل المثال – والغدد والأحياء، لثبت لقارئه أن عمله النقدي أو الإبداعي يتطلب ذلك، فإجهاد

---

1 – مناهج النقد الأدبي ص 65 .

العقاد نفسه في الإطلاع على هذه العلوم ليثبت لقارئه بأن أبا نواس نرجسي أو صاحب عقدة شاذة .. إلخ قد أتى – في بعض الأحيان – بنتيجة عكسية، وإلا ما كتب الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي – أستاذ الطب النفسي – تعليقًا على كلام العقاد لم ينصفه على الإطلاق منها قوله على المعلومات الطبية التي أوردها العقاد : (هي معلومات جزئية، لا قيمة لها في شعر أبي نواس، أو شكل جسمه، أو طبيعة نموه حيث لم يكن مريضًا بأي مرض عضوي على الإطلاق) [1].

وإذا أردنا أن نصل إلى نقطة الخلاصة في التصور النقدي التطبيقي لمثل هذا الموقف الذي تعرض له الأستاذ العقاد، وتسبب في ردود نقدية مبالغة، يمكننا أن نصل إلى مفهوم الخلاصة، بقراءة هذا التفسير الذي أورده الدكتور موافي في ختام تعرضه لهذه القضية، وبعد أن أثبت بالقرائن أن شذوذ أبي نواس ومجونه ليس مردهما إلى إصابته ببعض العقد النفسية، بل مردهما إلى ناحية اجتماعية بحتة، يقول : (ومهما يكن من أمر، فإن دراسة شخصيات الشعراء في ضوء معطيات علم النفس وقواعده، دراسة محفوفة بالمخاطر، ويكتنفها كثير من الصعوبات، يضاف إلى ذلك أنها قد تؤدي أحيانا إلى فهم بعض جوانب الشخصية موضوع الدراسة، أو الشخصية ذاتها، ولكنها لا تؤدي إلى فهم العمل الأدبي وتفسيره، وإذا كان الناقد يعد واسطة وترجمانًا أمينًا، بين المبدع والمتلقي وتقع عليه مهمة تحليل العمل الأدبي ونقده، فكيف يتأتى له ذلك، وهو مشغول عنه بشخصية مبدعه، أو بأمور خارجة عن نصه ؟ لذا على الناقد الأدبي أن يبدأ دراسته من العمل الأدبي نفسه، وليس من شيء خارج عنه، فالعمل

---

1 – مجلة فصول – د . يحيى الرخاوي – المجلد الرابع ، العدد الأول ، 1983 ص 47.

الأدبي وحده هو الذي يقوده إلى الكشف عن دلالاته النفسية، وصلة هذا بشخصية المبدع) [1].

إذن ففي ختام عرضنا لهذا البحث المخصص عن رؤية الناقد الدكتور عثمان موافي للمنهج النقدي النفسي بين التنظير والتطبيق، يمكننا أن نخلص إلى أكثر من نتيجة تمثل أكثر من رؤية نقدية للدكتور موافي لطبيعة هذا المنهج ولفلسفته، منها أن المناقشات لتطبيقات هذا المنهج في الدراسات العربية الحديثة، كشفت عن ظهور اتجاهين متباينين في ذلك، أحدهما يعتمد في دراساته الأدبية والنقدية على تطبيق قواعد علم النفس ومناهجه، التي تعني بتحليل شخصيات الأدباء والمبدعين، والكشف عن عقدهم، وأمراضهم النفسية . وتتمثل دراسات هؤلاء غالبًا في إثارة بعض الفروض العقلية عن مرض الشخصية موضوع الدراسة أو عقدها النفسية، والتماس كثير من الحجج والبراهين لإثبات صحة ذلك، في ضوء عرض الشخصية وتحليلها أو أعمالها الإبداعية .أما الاتجاه الثاني فيتخذ من الأعمال الأدبية منطلقًا لدراسته، التي تتمثل غالبًا، في الكشف عن بعض الظواهر النفسية في الأعمال الأدبية موضوع الدراسة، أو تصوير انطباع الناقد عن هذه الأعمال، أو الكشف عن الصلة بين العمل الأدبي ومؤلفه . وبغض النظر عن إيجابيات هذا الاتجاه، أو سلبيات الاتجاه السابق، فإن الاعتماد على المنهج النفسي وحده، في الدراسات الأدبية والنقدية، لا يفي بالغرض المطلوب من ذلك حيث أنه لا يتناول سوى بعض جوانب من العمل الأدبي، وخاصة تلك التي تتعلق بدلالاته النفسية، مُغفلا جوانب أخرى مثل قيمته الفنية والجمالية [2].

---

1 - مناهج النقد الأدبي ص 67 .

2 - نفسه ص 71 .

المصادر والمراجع

- الآمدي (الحسن بن بشر) : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد صقر، ط : دار المعارف بمصر .
- أرسطو : فن الشعر، ترجمة : عبد الرحمن بدوي، ط : نهضة مصر.
- إمبرت (أنريك أندرسون) : مناهج النقد الأدبي، ترجمة : الطاهر أحمد مكي، ط : مكتبة الآداب، القاهرة .
- أمين الخولي : فن القول، ط . دار الفكر العربي .
- الباقلاني (أبو بكر الباقلاني) : إعجاز القرآن، ط : دار المعارف بمصر .
- بلاشير : تاريخ الأدب العربي، ترجمة إبراهيم كيلاني، الناشر : دار الفكر بدمشق، ط : الثانية .
- الجرجاني (أبو الحسن عبد العزيز) : الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، الناشر : إحياء الكتب العربية، ط : الثالثة .
- الجرجاني (عبد القاهر) : دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ط : الخانجي بالقاهرة .
- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق أمين الخوجة، الناشر : دار الكتب الشرقية، تونس .

- خلف الله (محمد خلف الله أحمد) : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، الناشر : معهد البحوث والدراسات العليا، ط : الثانية 1970 م .
- ديفيد ديتشن : مناهج النقد الأدبي، بين النظر والتطبيق، ترجمة : إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، ط : دار صادر، بيروت 1967م .
- ديورانت (ول ديوارنت) : قصة الحضارة، الترجمة العربية، الناشر : مكتبة الأسرة، القاهرة 2004 م .
- ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، الناشر : المكتبة التجارية .
- ريتشاردز : مباديء النقد الأدبي، ترجمة : محمد مصطفى بدوي، الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر .
- ابن سلام (محمد بن سلام الجمحي) : طبقات فحول الشعراء، تحقيق : محمود شاكر، ط : الثانية .
- سيد قطب : النقد الأدبي : أصوله ومناهجه، ط : دار الشروق، بيروت .
- شكسبير : هاملت، ترجمة : محمد عوض محمد، ط : دار المعارف، بمصر .
- طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء، الناشر : دار المعارف بمصر.
- طه حسين : حديث الأربعاء، الناشر : دار المعارف بمصر .
- طه حسين : مع أبي العلاء في سجنه، الناشر : دار المعارف بمصر .

- عباس محمود العقاد : ابن الرومي، ط : نهضة مصر .
- عباس محمود العقاد : أبو نواس، الحسن بن هانيء، ط : نهضة مصر .
- عباس محمود العقاد : مطالعات في الكتب والحياة، ط : دار المعارف بمصر .
- عباس محمود العقاد : في المذاهب الأدبية والاجتماعية، الناشر : نهضة مصر، القاهرة 1999 م .
- عباس محمود العقاد : اليوميات، 3 أجزاء، ط : دار المعارف بمصر.
- عثمان موافي : مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، الناشر دار المعرفة الجامعية، الجزء الأول 2002 م .
- عثمان موافي : التيارات الأجنبية في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، الناشر دار المعرفة الجامعية، ط : الرابعة .
- عثمان موافي : الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، الناشر : دار المعرفة الجامعية، ط : الرابعة .
- عثمان موافي : دراسات في النقد العربي، الناشر : دار المعرفة الجامعية .
- عثمان موافي : منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، الناشر : دار المعرفة الجامعية، ط : الرابعة .
- عثمان موافي : من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، الناشر : دار المعرفة الجامعية، ط : الرابعة .

- عثمان موافي : من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، الناشر دار المعرفة الجامعية .
- عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب، ط : دار المعارف، القاهرة، سنة 1963 م .
- فائق متى : إليوت، ط : دار المعارف، بمصر .
- فرويد : تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان، الناشر : دار المعارف ط : الثانية سنة 1969 م .
- ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة) : الشعر والشعراء، تحقيق : أحمد شاكر، ط : دار المعارف بمصر .
- مجموعة من الكتاب : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، ترجمة : رضوان ظاظا، ط : عالم المعرفة، الكويت .
- ابن المعتز : طبقات الشعراء المحدثين، ط : دار المعارف بمصر .
- ابن منظور : لسان العرب، ط : بيروت .
- ابن منظور : أبو نواس : تحقيق عمر أبو النصر .
- النويهي (محمد النويهي) : نفسية أبي نواس، الناشر : الخانجي بمصر، ط : الثانية سنة 1970 م .

(تم بحمد الله وتوفيقه)

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول: السرد الروائي عند طه حسين - على هامش السيرة نموذجًا -	11
الفصل الثاني : (نجيب محفوظ بين حرفية الأدب وصناعة الدراما)	99
الفصل الثالث: الأدب وعصر المعلومات قراءة نظرية وتطبيقية في تجربة	123
الفصل الرابع: الرومانسية الصوفية في شعر العشماوي	149
الفصل الخامس: المنهج النقدي النفسي بين التنظير والتطبيق	169
المحتويات	203